حل وسط معتدل وتقدمي — على الرغم من حقيقة ان عدة فلسطينيين اثرياء سيكونون مستعدين للقبول بأي حل لاعتبارات انسانية ليس الا » . والغريب انها تقول ذلك رغم اعترافها في الفقرة التالية مباشرة (مع تكرار الشعور بالاسف) بان « جميع الحلول الممكنة الاخرى تصل الى مأزق : فهي جميعها تبدو غير عملية لدى دراستها على خلفية الاوضاع السياسية في الاردن واسرائيل، وكلاهما غير مقبول من الفلسطينيين » .

ومع هذا ، فان مما لا ريب فيه ان الكاتبة تكن عطفا ومحبة واضحين للفلسطينيين ، مع التشديد على الناحية الانسانية في القضية بالدرجة الاولى . وفي وصفها لمحنة الفلسطينيين وصمودهم تبلغ احيانا مستوى رفيعا من البلاغة والصدق . فهي تقول في الصفحة ٨٤ : « الفلسطيني فلسطيني ويبقى فلسطينيا — ولا يمكن لاي امتداد من التاريخ او الاستيعاب او الضغط السياسي ابدا ان يجعله اي شيء اخر ، سواء اعيدت فلسطين ام لم تعد. فان فلسطين تحيا بقوة في ذهنه بحيث اضحت هي الحقيقة : وصارت البلدان المضيفة عوالم احلام . ويتذكر الفلسطينيون بيوتهم وممتلكاتهم ومقاعدهم المفضلة وحقولهم وبيارات برتقالهم جميعها بوضوح وكأنهم تركوها امس فقط . ويتكلم الفلسطينيون عن الامس والغد وكأنهما الواقع : واليوم هو الوهم العابر . وهكذا تحافظ العائلات التي تقيم في المنفى على الذكرى والامل — سواء كانت اقامتها في البيئات الوردية الزاهية في عمان او بيروت ، او في اكواخ النازحين الكئيبة ... » .

وفي الواقع ، يبدو الكتاب بوجه الاجمال اكثر موضوعية مما اعتدنا توقعه من الكتب الغربية التي تتناول الموضوع نفسه. ولا شك في ان المؤلفة تجرأت ان تقول امورا لا يرضى عنها الصهاينة ويتطلب قولها شجاعة — ولكن دائما في نطاق الموضوعية . بل ان « موضوعيتها » تبدو احيانا غير مسوغة ، كما يحصل عندما تتكلم في الصفحة ١٤٧ ، وهي التي واجهت متاعب جمة في نشر كتابها هذا ، عن تبادل الاتهامات في انكلترا بين العرب والاسرائيليين حول تحيز الصحافة ودور النشر البريطانية ! فالكاتبة تكتفي بعرض هذه الاتهامات المتبادلة ، دون ان تعترف بتحيز الصحافة ودور النشر البريطانية السافر مع اسرائيل وضد العرب .

ويبقى ان نقول ان الكتاب يقع في ١٥٨ صفحة ، وينقسم الى ١٩ فصلا ، مع مقدمة وفهرست وثبت مراجع . ولا يخلو الكتاب ، للاسف ، من عدة هفوات واخطاء بارزة ، منها : ان الكاتبة تنسب الى حزب حيروت الاسرائيلي (ص ١١٧) قوله ان اسرائيل تمتد « من دجلة الى الفرات » ، وقولها (ص ٩) ان طائرات « الميغ » والهانتر اللبنانية — قصفت مخيمات النازحين في ضواحي بيروت في « ايار الاسود » ، وترجمتها (ص ٩٦) لعبارة « انشاء الله » العربية على انها تعني « انها مشيئة الله » . غير ان هذه الهفوات تبقى غير مهمة بالمقارنة مع حسنات الكتاب . فهو موضوع في لغة بسيطة واضحة وسلسة . ويظهر صدق المؤلفة وايمانها بما تقوله في كل سطر من اسطر الكتاب .

رجا جورج